العرب
الأربعاء 2020/07/01
السنة 43 العدد 11748

أطباء العراق يكافحون وباء كورونا بلا معدات ولا رواتب

عنف أقرباء بعض المرضى يزيد مهمة الجيش الأبيض الأعزل تعقيدا

تعترف كل الشعوب بأن الجيش الأبيض هو الطاقم الحقيقي الذي يقف في الخطوط الأمامية لمحاربة وباء كورونا مجهزا بالمعدات والأدوات، لكن في العراق يواجه الأطباء هذا الفايروس بلا تجهيزات ولا حتى رواتب، ومع هذا الخطر يواجهون أيضا عنف أقرباء بعض المصابين.

بغداد - لم يكن العراق أبدا مكانا سهلا للأطباء، واليوم مع تأخير في دفع الرواتب ونقص الإمدادات وعنف أقرباء بعض المرضى، بات النظام الصحي المنهار أصلا في البلاد، على حافة الكارثة، في خضم تفشي وباء كورونا.

يقول الطبيب محمد الذي يعمل في أحد مستشفيات بغداد لمعالجة مصابي وباء كورونا المستجد، "نحن حاليا في وضع الانهيار".

ويضيف الطبيب الذي رفض استخدام اسمه الكامل كي يتحدث بحريّة بعدما عمل 48 ساعة متتالية "لا أستطيع العمل أكثر من ذلك. لم أعد قادرا على التركيز على الحالات والمرضى".

وسجل العراق أكثر من 45 ألف إصابة بوباء كورونا، بينها العديد من الأطباء، حتى أن محمد يشير إلى أنه يعرف 16 طبيبا على الأقل أصيبوا خلال الشهر الماضي.

وتخطت حصيلة الوفيات اليومية في العراق حاجز الألفين، وتصاعدت تحذيرات الأطباء من أنهم غير قادرين على الصمود أكثر من ذلك.

والحال نفسه في إقليم كردستان الشمالي، حيث تخطت الإصابات عتبة الخمسة آلاف، بينهم مئتا طبيب وممرض، مع أكثر من 160 وفاة.

أمام مستشفى علي ناجي في محافظة السليمانية، يصطف العشرات من السكان في طابور لإجراء فحص كورونا، لكن الفريق الطبي في الداخل كان أقل بكثير من المعتاد بسبب إضراب البعض.

وعلى غرار السلطات في بغداد، تكافح حكومة إقليم كردستان لدفع رواتب موظفي القطاع العام حاليا جراء انهيار أسعار النفط والركود الاقتصادي الناجم عن الجائحة.

وكان لذلك تأثير مدمر على الموظفين في المرافق الطبية الحكومية، الذين لم يستلموا رواتبهم منذ شهرين.

وأعلن الآلاف من العاملين المنهكين في مجال الرعاية الصحية في المستشفيات الحكومية بداية الشهر الحالي أنهم سيتوقفون عن معالجة الحالة غير المصابة بالفايروس المستجد.

يقول نقيب الأطباء في السليمانية هاوزين عثمان، إن "20 ألف طبيب وممرض على الأقل يشاركون بهذا الإضراب الجزئي في الإقليم".

من بينهم 800 طبيب انضموا خلال الأسبوعين الماضيين، تزامنا مع تسجيل كردستان العراق ارتفاعا في حالات كورونا.

شيفان كردة (30 عاما) هو واحد من هؤلاء. يقول هذا الطبيب الذي يمثل الأطباء المقيمين في السليمانية "نعمل لنوبات عشر ساعات يوميا، ولكن فقط لعلاج مرضى كورونا".

لدى كردة أجور ثلاثة أشهر مستحقة منذ العام 2019، كما أنه لم يحصل على راتبي أبريل ومايو من العام الحالي.

ودأبت السلطات الصحية في كل أنحاء العراق على انتقاد حالة المستشفيات المتداعية منذ فترة طويلة، والتي أنهكتها سنوات الحرب ونقص الاستثمار والفساد الذي استنزف الأموال المخصصة لتأمين معدات جديدة.

وأكد رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي للصحافيين الأسبوع الماضي أنه "ليس لدينا نظام صحي، والنظام الصحي منهار، وأبسط شروطه غير متوفرة، وذلك لأن من تبوأ المناصب في بعض مؤسسات الدولة غير كفؤ، وهذه تراكمات سنوات".

ووفق بيان للكاظمي، يذكر أن وزارة الصحة دعت "طلبة كليات الطب في الجامعات كافة، للمرحلتين الخامسة والسادسة، الراغبين بالتطوّع للعمل في المستشفيات، بهدف دعم الأطباء بالمستشفيات وتعزيز المشاركة المجتمعية بمواجهة كورونا".

ويعد العراق أيضا بيئة خطيرة للأطباء، حيث من المعروف أن عائلات المرضى تهدد الطواقم الطبية، أحيانا بالقتل، إذا ما تدهورت حالة أقربائها.

والأسبوع الحالي، أعلنت نقابة الأطباء العراقيين إضرابا في محافظة ذي قار الجنوبية، بعد اعتداء طال طبيبة من قبل أقرباء أحد المرضى.

وفي شمال بغداد، يقول عدد من الأطباء المعالجين لحالات كورونا، إنهم وزملاؤهم باتوا على حافة الإرهاق، من دون أي تعويض عن العمل الإضافي.

ويلفت الطبيب عمار فلاح (27 عاما) إلى أنه لم تكن هناك مكافآت مادية خلال التظاهرات الشعبية في أكتوبر ولا خلال الاستنفار في الحرب ضد تنظيم الدولة الإسلامية.

ويضيف متسائلا "فهل تتوقعون أن الراتب سيزيد على عدد الساعات الإضافية التي نقضيها الآن؟".

ويقول فلاح إن مستشفى الكندي التمريضي حيث يعمل، يوزع فقط خمس كمامات من نوع "أن 95" لكل طبيب شهريا. ولكن مع التفاعل الكبير مع المرضى المصابين، يقول فلاح إنه بحاجة إلى تبديل الكمامة مرارا، وعليه بدأ في استخدام راتبه الشهري البالغ 750 دولارا لشراء معدات الوقاية.

ويردف "إذا زادت ساعات العمل أو زاد عبء العمل، سنضرب عن العمل أيضا".

ويقرّ الطبيب وائل ، بأن حالته الذهنية كانت تتدهور، يقول "قبل كان التنفيس عن ضغط العمل هو بالخروج ورؤية الأصدقاء والأهل في أوقات العطل، ولكن أصبحت أرجع من مستشفى الحجر لأحجر نفسي في غرفتي في البيت".

ويشير إلى أن خوفه الأكبر مع زملائه، هو نقل العدوى من مرضاهم إلى عائلاتهم، ومع معدل الإصابة السريع، قد يصبح أسوأ كوابيسهم واقعا.

ويقول، "ظهرت عليّ العوارض لمدة شهر، ولكن طلب مني الاستمرار في العمل. الإصابة هي مسألة وقت للجميع".

وفي مستشفى بالبصرة يراهن الطبيب علي سلام عبدالله على علاج الفايروس ببلازما الدم بعد أن استخرجت من مريض بكورونا، تعافى ويُعتقد أنها غنية بالأجسام المضادة التي يستخدمها الطبيب في علاج حالات المصابين الحرجة. وعبدالله على قناعة بأن البلازما تساعد المرضى الذين يعانون من ضعف الأجهزة المناعية، في محاربة الفايروس. ولتعويض نقص المتبرعين فإنه يستخدم آلة استبدال البلازما التي تحقن سوائل بديلة لزيادة ما يُستخرج من كل مريض من 400 ملليمتر إلى 3000 ملليمتر.

ويقول إنه بمجرد أن يتوفر لديه العدد الكافي من المتبرعين فإنه سيعود لمستويات الاستخراج القياسية، لكنه في الوقت الحالي ومع استمرار تفشي الوباء ملتزم باستخراج العائد الأعلى.

ويأمل الطبيب العراقي في أن يتم فحص منهجه في نهاية المطاف واعتماده في الخارج.

> تحذيرات الأطباء تتصاعد من أنهم غير قادرين على الصمود أمام تخطي حصيلة الوفيات اليومية بكورونا حاجز الألفين

بلا تجهيزات ملتزمون بالواجب

الفقر يعود باللبنانيين إلى زمن المقايضة

ملابس وأحذية وأوان مقابل حفاضات وحليب في غياب السيولة

بيروت - مع تآكل قدرتهم الشرائية وموجة الغلاء الجنونية، يلجأ لبنانيون إلى نظام المقايضة لتأمين احتياجاتهم الأساسية وسط أزمة معيشية خانقة.

تعرض سيدة ثوبا مقابل الحصول على حليب وحفاضات لرضيعها بينما تودّ أخرى استبدال ثياب طفلتها بمواد غذائية.

ويعدّ الانهيار الاقتصادي، الذي يشهده لبنان منذ نحو عام، الأسوأ منذ عقود. ولم تستثن تداعياته أي فئة اجتماعية، وقد خسر عشرات الآلاف مصدر رزقهم أو جزءا من مداخيلهم وسط موجة غلاء غير مسبوقة وارتفاع في معدلات الفقر.

وأمام هذا الواقع الجديد، لم يجد كثر خيارا سوى مقايضة أغراضهم. وأنشأت لهذا الغرض صفحات عدة على مواقع التواصل الاجتماعي.

على صفحة "لبنان يقايض"، التي ضمّت بعد أسبوعين فقط من إنشائها أكثر من 12 ألف مشارك، طلبت زينب (25 عاما) مقايضة فستانها الأسود بحليب وكيسي حفاضات لطفلها (11 شهرا).

وتقول الشابة من مدينة طرابلس "لم أطلب يوما شيئا من أحد، وجدت أن المقايضة أفضل، سأكون مرتاحة أكثر لو عرضت شيئا لا أحتاجه مقابل ما أحتاج فعلا.. إنها أفضل من الطلب من غير مقابل".

حتى الأمس القريب، كانت العائلة تعيش في وضع جيد، تؤمّن قوتها اليومي من دخل زينب في التزيين النسائي وراتب زوجها الموظف في شركة، لكن الحال انقلب رأسا على عقب. فالشركة أقفلت أبوابها وسرّحت موظفيها، وزينب توقّفت عن العمل مع تفشي فايروس كورونا الذي عطل المصالح الاقتصادية للناس.

ومن دون سابق إنذار، وجدت العائلة الصغيرة نفسها في وضع لم تعتده، تزامن مع غلاء غير مسبوق. فارتفع سعر كيس الحفاضات الذي اعتادت زينب شراءه إلى 23 ألفا بدلا من عشرة آلاف، وارتفع سعر علبة الحليب من 28 إلى 48 ألفا.

ووفق جمعية حماية المستهلك غير الحكومية، سجّلت أسعار المواد الغذائية ارتفاعا جنونيا تجاوز 72 في المئة من الخريف حتى نهاية مايو. وسعر صرف الدولار في السوق السوداء ثمانية آلاف ليرة فيما السعر الرسمي لا يزال مثبتا على 1507 ليرات. ومن كان راتبه يعادل 700 دولار الصيف الماضي، بات اليوم بالكاد يعادل 150 دولارا.

وتقول زينب "نصرف حاليا من مبلغ صغير ادخرناه، ولا نعرف ماذا سنفعل حين ينتهي".

وعلى الصفحة ذاتها، كثيرات عرضن ملابسهنّ أو أحذيتهنّ مقابل الحصول على حفاضات أو حليب. وعرضت إحداهن ثيابا لابنتها (خمس سنوات) مقابل الحصول على مواد غذائية على أن تتضمن زيتا، وأخرى قالت إنها مستعدة لتقديم حصتين غذائيتين مقابل أدوات تنظيف وحاجات للأطفال.

وكتبت امرأة ببساطة "أريد حصصا غذائية مقابل ثياب".

وعرضت نورهان مقايضة صينية خشب لصديقتها التي يحتاج طفلها، هو من ذوي الاحتياجات الخاصة، إلى جلسة علاج فيزيائي.

وتقول نورهان "كانت بداية تعرض الصواني للبيع، لكنني اقترحت عليها أن أعرضها للمقايضة لأن الناس لم تعد قادرة على الدفع أو الشراء". وتضيف "وافقت لأنه لم يعد لديها أي حل آخر" بعدما فقد زوجها عمله قبل أشهر على غرار كثر غيره نتيجة الأزمة الاقتصادية.

ولاقت نورهان تجاوبا واسعا على الصفحة فعرض أطباء عدة خدماتهم، كما تلقت تبرعات من أشخاص في لبنان وخارجه.

ثلاجة لا شيء فيها مثل جيوب اللبنانيين

وبحسب عاملين في منظمات إغاثية ومتطوعين، فإن عائلات كثيرة كانت قادرة على تأمين قوتها اليومي باتت اليوم عاجزة عن توفير أبسط المتطلبات من خبز وطعام ودواء مع خسارة أفرادها عملهم أو قدرتهم الشرائية. ويتوقّع خبراء اقتصاديون اضمحلال الطبقة الوسطى.

ويقول حسن حسنة، الذي أنشأ صفحة "لبنان يقايض"، "بدأنا الصفحة لعدم توفر النقد بين يدي الناس وسط شح في السيولة يزداد يوما بعد يوم".

ويضيف "وجدنا أن المقايضة خيار جيد، لكننا تفاجأنا بحالات مؤسفة جدا، أشخاص يعرضون ثيابهم لتوفير الطعام والحفاضات".

واستخدم البعض صفحات المقايضة لعرض حالات اجتماعية غير قادرة حتى على تقديم أي شيء لاستبداله وطلب المساعدة.

وتضمّ صفحة أخرى اسمها "لبانتروك"، أنشأت قبل أشهر عدة، أكثر من 50 ألف متابع. وتحولت سريعا، بحسب مشرفين عليها، من صفحة مقايضة لتشمل طلبات مساعدة عدة.

وتقول هلا دحروج مؤسسة الصفحة "كبرت الصفحة سريعا فقد كثر العاطلون عن العمل وارتفع عدد من هم بحاجة".

وتتحدث عن أشخاص وجدوا أنفسهم مضطرين للنوم في الشارع بعدما فقدوا عملهم، ولجأوا إلى الصفحة لمساعدتهم على تأمين بدلات إيجار.

ولا يقتصر الأمر على وسائل التواصل الاجتماعي، فخلال الأشهر الأربعة الماضية، شهدت شيرين قباني إقبالا غير مسبوق على محلها "ثياب العيد" المخصّص أساسا لتوزيع ثياب مستعملة مجانا.

وتوضح أن "عدد الأشخاص الذين أتوا مؤخرا ووقفوا في طوابير أمام المحل من أجل الخبز فقط جنوني".

ومنذ إطلاقها للمبادرة قبل أربع سنوات، كانت شيرين تتلقى من متبرعين ثيابا مستعملة أو أغراض تموين لتوزيعها على المحتاجين، لكن اليوم تغير الحال وبات المتبرعون والمستفيدون واحدا.

وتقول "الأصعب أن أرى متبرعين كانوا يحضرون ثيابهم، وباتوا اليوم يريدون مقايضتها على مؤونة".

وتروي أنها استقبلت أمهات ألبسن أطفالهن أكياس نايلون أو قماشا بدلا من الحفاضات، وأخريات يطعمونهم الماء والسكر بدل الحليب.

وتقول "جاءتني امرأة، قلعت عباءتها وقالت لي 'خذيها وأعطني كيس حفاضات فقط'".